عبدالله بن عبدالعزيز.. سيرة أب ومسيرة قائد

عبدالله بن عبدالعزيز
سيرة أب.. ومسيرة قائد

مسيرة حافلة بالإنجازات، وسيرة عطرة ترافق اسم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في جميع المحافل والمناسبات، فهو الأب العطوف على كل أبناء شعبه وأمته، الذي يشعر بألم من يتألم منهم ويسارع لتخفيفه، وهو القائد والربان الذي يعي مسؤوليته، ويعرف كيف يقود سفينة الوطن في بحر متلاطم الأمواج ليصل بها إلى بر الأمان، متوكلاً على الله جل وعلا في كل حال، يسعى لمرضاته بكل الأفعال والأقوال، سلاحه الإيمان وطريقه قناعة وتسليم بأن «خير الناس أنفعهم للناس»، كل الناس، إرادته صلبة، صلابة جبالها الشامخات، وهو الإنسان الذي لا يتأخر في مد يد العون والمساعدة لكل من يحتاج لها، في مشارق الأرض ومغاربها دون من وتفاخر، فكان جديراً بلقب «ملك الإنسانية» وقائد مملكة الإنسانية، وغيرها من الألقاب التي تزين وتتزين في مسيرة القائد والأب والإنسان خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز- حفظه الله-.

ولد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في مدينة الرياض عام 1343هـ، في زمن كل ما فيه يفرض على الإنسان الصبر والتحمل، حيث كانت المملكة تخطو خطواتها الأولى كدولة حديثة، تسعى لتنمية مواردها ومضاعفة إمكاناتها.

وقد ولد الملك عبدالله بن عبدالعزيز في كنف والده الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود- رحمه الله-.

وبدأت تتشكل ملامح شخصيته الأولى، فكان مثالاً للانضباط والجدية والقدرة على تحمل المسؤولية والالتزام الديني والبساطة في العيش دونما تكلف، فهو يرى نفسه دائماً بين البسطاء من الناس.

وفي مدرسة الوالد المؤسس تشكلت خبرته السياسية، وانطبعت في ذهنه أحداث تلك المرحلة التاريخية والتطورات السياسية في الوطن العربي والعالم أجمع إبان فترة الحرب العالمية الثانية، وما خلفته هذه التطورات من تقسيمات جغرافية للوطن العربي والعالم الإسلامي، التي رزح كثير من دوله تحت نير الاستعمار.

ومع مرور السنين ظلت دروس تلك المرحلة محفورة في الذاكرة تشكل بداخله إحساساً أصيلاً بالواجب تجاه وطنه وأمته، تقوده جهوده المخلصة لرأب الصدع وإيجاد الحلول العادلة للقضايا العربية والإسلامية الكبرى.

ولا خلاف على أن الملك عبدالعزيز هو معلمه الأول، والمدرسة

التي تعلم فيها أمور الحكم والسياسة والإدارة والقيادة، وداخل هذه المدرسة تلقى خادم الحرمين الشريفين الكثير من العلوم الأخرى من خلال عدد من كبار العلماء والمفكرين الذين عملوا على تنمية قدراته بالتوجيه والتعلم خلال هذه الفترة من طفولته.

وقد ظل خادم الحرمين الشريفين وفياً لهؤلاء العلماء والمفكرين، يذكرهم بكل خير، وامتد هذا الوفاء إلى كل العلماء والمفكرين فيما بعد، فهو حريص كل الحرص على الالتقاء بهم والاستماع إلى أهل الحل والعقد من داخل وخارج المملكة، وعُرف - حفظه الله - منذ نشأته الأولى بميله إلى القراءة والإطلاع، وهي هوايته الأولى التي كانت تستحوذ على كثير من وقته خلال فترة الشباب والنضج إلى جانب عشقه الكبير للصحراء التي يخرج إليها كلما سنحت له الفرصة، ويعرف المقربون من أبو متعب هوايته وشغفه بالفروسية، وتفوقه في هذا الميدان، فهو فارس لا يشق له غبار، ومن منطلق هذا الحب لهذه الرياضة العربية الأصيلة وحرصه عليها، ورغبته ألا تندثر بفعل التطور وظهور الكثير من الرياضات العصرية الأخرى، وقد أسس خادم الحرمين الشريفين نادياً للفروسية، كما حرص على تكريم المتفوقين في ممارسة هذه الرياضة، التي ينضم لها عدد كبير من المسابقات سنوياً.

أعماله ومسؤولياته

بدأ - حفظه الله - مسيرته العملية رئيساً للحرس الوطني، وتحمل مسؤولية هذه المؤسسة العسكرية بكفاءة واقتدار، واستطاع في زمن قياسي تطويرها وتحديثها، بما يتناسب مع أهمية دورها، وتدرج في المناصب حتى أصبح نائباً لرئيس مجلس الوزراء إلى جانب رئاسته للحرس الوطني «قبل أن يبايع ولياً للعهد».

وصدر أمر ملكي بتعيينه نائباً لرئيس مجلس الوزراء ورئيساً للحرس الوطني، واستطاع الملك عبدالله بن عبدالعزيز خلال فترة ولايته للعهد، أن يتبنى عدداً من المشروعات الكبرى التي أحدثت تحولات ونقلات هائلة في مختلف الجوانب التعليمية والاقتصادية والزراعية والصناعية والثقافية والاجتماعية والعمرانية، إضافة إلى جهوده في تعزيز دور المملكة على المستويين الإقليمي والدولي، وصناعة القرار العالمي ودعم الحقوق والقضايا العربية والإسلامية، وأثمرت هذه الجهود عن تواجد فاعل للمملكة على كافة الأصعدة ومكانة بارزة في جميع المحافل والهيئات الدولية وعلاقات متميزة مع جميع القوى العالمية الكبرى.

إنسانية ملك

في السادس والعشرين من شهر جمادى الآخرة 1426هـ، بويع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز ملكاً للبلاد- خلفاً للمغفور له الملك الراحل فهد بن عبدالعزيز- في صورة رائعة لكيفية انتقال الحكم، شارك في رسمها كل أبناء الشعب السعودي الذين توافدوا من مختلف أنحاء المملكة لمبايعة «أبو متعب» قائداً لاستكمال مسيرة النهضة.

ومع تولي أبو متعب لمقاليد الأمور، انفتحت أبواب الخيرات، فارتفعت أسعار النفط الذي يعد المصدر الرئيسي للدخل الوطني، واندفعت عجلة التنمية بتسارع أكبر في جميع القطاعات، في طفرة اقتصادية عم خيرها الجميع، عندما أصدر الملك قراراً بزيادة أجور جميع العاملين في الدولة وزيادة مخصصات الضمان الاجتماعي، وتوجيه جزء كبير من فائض الموازنة للمشروعات الخدمية في قطاعات التعليم والصحة والمواصلات وغيرها، ثم أصدر قراراً بتخفيض أسعار المحروقات، وتتابعت القرارات الإنسانية من ملك الإنسانية بما يخدم مصلحة الفقراء والبسطاء ومحدودي الدخل من أبناء المجتمع السعودي، بدءاً من مشروعات الإسكان الشعبي للفقراء، وتأسيس صندوق لصغار المستثمرين بسوق الأسهم من المواطنين، وزيادة مخصصات رعاية الفئات المحتاجة وغيرها الكثير من القرارات التي تترجم شعور القائد الأب تجاه أبناء شعبه، وتقف مؤسسة الملك عبدالله بن عبدالعزيز لوالديه للإسكان التنموي شاهداً حياً على جهود ومبادرات خادم الحرمين الشريفين، في مجال العمل الخير والإنساني وتلمس احتياجات أبناء المملكة، حيث وضعت هذه المؤسسة العملاقة في مقدمة أهدافها توفير السكن الملائم لذوي الدخل المحدود والأسر الفقيرة، وبلغ عدد مشروعاتها خلال عام 1425هـ خمسة مشاريع تضم ما يقارب «1300 وحدة سكنية» وملحقاتها من مرافق تعليمية وصحية واجتماعية، وتهدف الخطة الاستراتيجية للمؤسسة لبناء سبعة آلاف وحدة سكنية يستفيد منها نحو «49 ألف» مواطن ومواطنة.

مسيرة إصلاح

يحق لأبناء المملكة جميعاً أن يفخروا بحب المليك وتعاطفه مع الفقراء والمحتاجين، وميله الفطري لعمل الخير كما يفخر أبناء الشعب السعودي بما حققته مسيرة الإصلاح التي تبناها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز خلال ولايته للعهد، واستندت هذه المسيرة على أسس الحوار الوطني، وضرورة تفعيل حقوق المواطنة ومشاركة المواطن في صنع القرار.

ووجدت المرأة السعودية في خادم الحرمين الشريفين راعياً ونصيراً لحقوقها التي أقرها الإسلام، ومدافعاً صلباً عن أهمية دورها ومكانتها ومساهماتها في تحقيق التنمية الوطنية الشاملة، حيث تعددت لقاءات المليك بالمبدعات السعوديات في مختلف المجالات، واستمع للقيادات النسائية،

ووجه بتذليل كل المعوقات التي تحول دون إطلاق طاقات المرأة السعودية، في إطار قيم الدين الإسلامي وعادات وتقاليد المجتمع السعودي، ووجدت المرأة السعودية نفسها لأول مرة مكاناً لها بمجلس الشورى، لتناقش القضايا التي تمسها، وتبدي رأيها فيها، كذلك المشاركة في أعمال مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الذي حرص خادم الحرمين الشريفين على إنشائه من أجل توفير البنية الملائمة الداعمة للحوار بين جميع أفراد المجتمع وفئاته.

وفي ترجمة حقيقية لجهود خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز لزيادة مشاركة المواطنين في صنع القرار، شهدت المملكة عام 2003م، بدعم مباشر منه حفظه الله، انتخاب نصف أعضاء المجالس البلدية في جميع مناطق المملكة لتوسيع المشاركة الشعبية في إدارة الشؤون المحلية، كما كان لدعم واهتمام خادم الحرمين في تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني دوره في تأسيس أول هيئة للصحافيين السعوديين لتكون إطاراً لتنظيم العلاقات والتعاون بين العاملين في مهنة الصحافة.

وكان لهذه الجهود في مجالات العمل الاجتماعي والإنساني، ورعاية الفئات المحتاجة ودعم سبل الحوار بين أفراد المجتمع أثرها في تفنيد دعاوي الفكر المتطرف والتصدي بنجاح للممارسات الإرهابية التخريبية التي استهدفت أمن البلاد.

وبمشاعر الأب الذي يعفو ويصفح عن المخطىء من أبنائه اتسع قلب خادم الحرمين الشريفين لبعض أبناء المجتمع ممن خدعوا بالأفكار الضالة والشعارات المزيفة، قبل أن يعلنوا توبتهم ويعودوا إلى جادة الحق، ويستفيدوا من قرار العفو الذي أصدره حفظه الله عن التائبين.

وانطلاقاً من الشعور بالمسؤولية تجاه القضايا العربية والإسلامية الكبرى، تعددت جهود خادم الحرمين الشريفين ومبادراته في دعم حقوق الشعب الفلسطيني «ما بين الدعم المالي أو السياسي»، ومن أبرز صور هذا الدعم مبادرة الملك عبدالله للسلام، التي أقرتها القمة العربية بالإجماع عندما عقدت في بيروت عام 2002م، كأساس للسلام مع إسرائيل.

ومن أحدث أمثلة دعم الحقوق والقضايا العربية مساندة خادم الحرمين الشريفين للشعب اللبناني والحكومة اللبنانية وتوجيهه بتقديم المساعدات المالية الضخمة لتكون أساساً لصندوق إعادة إعمار لبنان، ومبالغ أخرى لصندوق إعادة إعمار فلسطين.

وتتواصل الجهود والإنجازات والعطاءات لمسيرة القائد والأب خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - للمزيد من خير الوطن والأمة والإنسانية جمعاء.